المحاضرة الثانية:الفتح العربي الإسلامي.

قبيل الإعداد لتنفيذ فكرة فتح الأندلس وضع موسى ابن نصير حامية كبيرة في مدينة طنجة عندما فتحها مولاه طارق بن زياد بلغت حسب رواية ابن عذاري٢٩ألف جندي,وكذلك جوابه لطارق بن زياد حينما كتب إليه يقول بأنه أصاب في ميناء طنجة عندما فتحها ست سفن حيث قال له-:)أحترز عليها وأتمها سبعاً). ومن ذلك أيضاً غزوة لجزيرة صقلية في وقت مبكر لعامين متتاليين,وما تبع ذلك من فتح لجزر غرب المتوسط حيث أبعد خطر الأسطول البيزنطي عن شواطئ المغرب وخرق من قواعده في تلك الجزر,وبسط السيادة العربية عليها,فأن هذه الجزر أصبحت قواعد للأسطول العربي الإسلامي,ونقاط إرتكاز له في عمليات الفتح القادمة بوصفه القوة المساندة للقوات البرية في تلك العمليات.

ومن ذلك أيضاً اهتمامه بمعرفة أوضاع جنوب غرب أوروبا بدقة والحصول عليها أولاً بأول من التجار وبخاصة السوريين الذين كانوا يجوبون تلك المناطق منذ زمن طويل والتي لم تكن تخفي عليهم بحكم اتصالاتهم التجارية ليستفيد من المعلومات التي يحصل عليها في وضع خططه في أعمال الفتوحات المقبلة.

وبناءً على هذه المعطيات نستطيع أن نقرر بأن تطلع العرب المسلمين لفتح الأندلس قد بدأ منذ وقت مبكر من ولاية موسى بن نصير على إفريقية,وكان ضمن خطة استئناف حركة الفتوحات ونشر الإسلام في القارة الأوروبية.

دوافع الفتح العربي الإسلامي لشبه جزيرة أيبيريا (الأندلس):

١.نشر الدين الإسلامي وإعلاء راية الله اكبر في أوروبا وفي البلدان ما رواء البحار

٢.حماية حدود الشمال المغرب من الأعداء البيزنطيين وإبعاد مخاطرهم عن المغرب الإسلامي

٣.إنقاذ المجتمع الاسباني من الظلم والعبودية بسبب سوء أحوال اسبانيا العامة.

٤.الاستفادة من خيرات وثروات اسبانيا الاقتصادية.

٥.نقل حركة الفتوحات إلى جنوب غرب أوروبا تنفيذا للخطة العامة للدولة العربية الإسلامية بوصف هذا الجزء من أوروبا هو الأسهل منالا للعرب المسلمين لصعوبة فتح القسطنطينية من الباب الشرقي التي تحرسه الإمبراطورية البيزنطية.

خطة ومراحل الفتح٩٥_(٩٠هـ):

سبق وأن ذكرنا بأن والي المغرب الإسلامي موسى بن نصير من قبل الخلافة الأموية في القيروان (تونس) كان يخطط لفتح شبه الجزيرة الأيبيرية واتخاذ الإجراءات والخطوات اللازمة ومنها وضع حامية قوية وعدداً من السفن في طنجة وفتح عدداً من جزر البحر المتوسط وجمع المعلومات عن المنطقة إستعداداً لهذا الفتح وأخذ يتحين الفرصة المواتية للتنفيذ.

وحينما أتصل القائد طارق بن زياد بالوالي موسى بن نصير يخبره بعرض وطلب الكونت يوليان حاكم سبتة,رحب بهذا العرض ولكنه سارع بالاتصال بالخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك(٨٦-٩٦هـ) لإطلاعه واستئذانه وقد وافق الخليفة على هذا المشروع الكبير وطلب منه أن يخضها ويختبرها بالسرايا

والحملات الاستطلاعية خشية على أرواح المسلمين حرصاً منه على عدم التغرير بهم في بحر كثير الأهوال.

كل هذا يؤكد أن فتح الأندلس لم يكن إرتجالياً أو مغامرة عسكرية وانما كان وفق خطة موضوعة وبناءاً عليه أتصل موسى بالكونت يوليان وطلب منه أن يقوم هو أولاً بشن الغارة على شبه الجزيرة الأيبيرية قائلاً له كما يذكر ابن عذاري في كتابه البيان المغرب في تاريخ الأندلس والمغرب (أننا لا نشك في قولك ولا نرتاب,غير أننا نخاف على المسلمين من بلاد لا يعرفونها,وبيننا وبينها البحر,وبينك وبين ملكك لوذريق حمية الجاهلية وأتفاق الدين,فجز إليه بنفسك وشن الغارة على بلاده واقطع ما بينك وبينه,واذا ذاك تطيب النفس عليك ونحن من و ارءك إن شاء الله) فأعد الكونت يوليان سرية قادها بنفسه وعبر إلى شبه الجزيرة (الأندلس) في مركبين وأغار على الساحل الجنوبي,فسبا وغنم ورجع,ومن الواضح أن هدف موسى من هذه الغارة هو أختبار دفاعات مملكة القوط في الجنوب من ناحيته,والتثبت من إخلاص يوليان من ناحية ثانية حتى قيل أن بعض المسلمين شاركوا في هذه الغارة لهذا الغرض.

ولم يكتف الوالي موسى بن نصير بهذه الغارة الإستطلاعية بل أرسل سرية أخرى في شهر رمضان (٩١هـ/٧١٠م) مكونة من٥٠٠جندي أربعمائة من المشاة ومائة من الفرسان بقيادة طريف بن زرعة بن أبي مدرك أو طريف بن مالك فقام بمهمته خير قيام وأغار على الطرف الجنوبي لشبه الجزيرة وعاد بغنائم كثيرة دون أن يلقئ مقاومة ومن ذلك الحين أصبح اسم طريف يُطلق على بلدة صغيرة طريف.(Tarifa)

تشجع الوالي موسى بن نُصير بهذه النتائج فطلب من القائد طارق بن زياد بالعبور إلى الأندلس في شعبان٩٢هـ/ نيسان٧١١بحملة عسكرية مكونة من سبعة آلاف جندي معظمهم من البربر عبروا المضيق,بين ضفتي البحر المتوسط في المغرب والأندلس ونزلوا بصخرة جبل كالبي الذي سُمي بجبل طارق كهدية تاريخية لهذا القائد الذي أسس فيه قاعدة وحصناً عهد في حمايته إلى يوليان ثم فتح قرطاجنة وترك فيها حامية ثم وصلوا مدينة الجزيرة الخضراء ثم سار إلى الجنوب حتى بلغ الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة وسار بمحاذاة الساحل ثم ضرب عسكره في منطقة واسعة ذات أ ارضي سهلية واسعة تكثر فيها المدن سماها العرب الخندق في كورة شذونة ولا ازلت تحمل ذلك الاسم إلى الآن لاخاندا(La janda) يحدها من الشرق نهر لكة ومن الغرب وادي البرباط حيث أخذ القائد طارق ينظم قواته إنتظا ر للقوط بعد أن سيطر على المضيق وأمن خطوط مواصلاته مع المغرب. أما لوذريق حاكم شبه الجزيرة الذي كان عند عبور طارق إلى الأندلس في شمال البلاد يقوم بإخماد ثورة قام بها البشكنس أو ربما أنصار بيت غيطشه الذي فروا من تلك النواحي من بطش لوذريق فقد عاد مُسرعاً إلى طليطلة حيث حشد جيشاً ضخماً قدرته كما تذكر بعض الروايات بمائة ألف جندي وبعض آخر بسبعين ألف جندي وفريق ثالث ومنهم أبن خلدون بأربعين ألف جندي حيث زحف به لملاقاة طارق بأمر هذا الجيش الضخم كتب إلى موسى بن

نصير طالباً منه المدد بقوله: "الغوث الغوث فقد تداعت علينا الأمم" فأمده بخمسة آلاف جندي فأصبحت عدة جيشه(١٢)ألف جندي وقد استشهد فيها أكثر من ثلاثة آلاف شهيد أي ثُلث الجيش وفي٢٨ رمضان سنة٩٢هـ/١٩حزيران٧١١م أشتبك الجيشان في معركة حاسمة دامت ثمانية أيام وأقتتل الطرفان قتالاً شديداً حتى ظنوا أنه الفناء وهي لم تقع في موضع محدد يمكن أن تسمى باسمه ﴿وانما معركة من طـارز جديد بين قوتين غير متعادلتين وأستمرت المعركة حتى أنهزم الجيش القوطي بقيادة لوذريق الذي هرب من المعركة وقُتل في لورقة ولهذا تحمل هذه المعركة في النصوص التاريخية أسماء كثيرة فهي تُسمى معركة البرباط أو معركة شريش,أو معركة الخندق,أو معركة وادي لكة وأحياناً تُسمى معركة شذونة.

وبعد الانتصار في هذه المعركة الحاسمة التي دلت على قدرة وموهبة طارق العسكرية أتجه إلى الشمال نحو طليطلة عاصمة المملكة وهي تبعد أكثر من٦٠٠كم عن مكان المعركة الأولى وأن دل على هذا شيء فإنما يدل على قوة الأجيال الإسلامية الأولى وعزيمتها ﴿وايمانها بالفتح لنشر الإسلام.

وكان جيش طارق قد تضخم عمن وفد إليه من أهل المغرب,فوزع قسماً من جنوده في بعوث جانبية وفق الخطة الإسلامية في فتح البلدان,فأرسل سرية مكونة من٧٠٠فارس بقيادة مغيث الرومي إلى فتح قرطبة,وسرية أخرى إلى مالقه,وسرية أخرى إلى البيرة,أما هو فقد سار ببقية الجيش إلى كورة جيان قاصداً طليطلة حيث دخلها فاتحاً في سنة(٩٣هـ/٧١٢م) دون مقاومة تُذكر بعد هروب كبار القوط ورجال الدين فلاحقهم طارق إلى ما و اء جبال طليطلة,وعاد بعد ذلك إلى طليطلة لقضاء فصل الشتاء الذي كان قد أقترب لإ ارحة جنده وتنظيم ما قام بفتحه من تلك البلاد

دخول موسى بن نصير الأندلس واشتراكه في الفتح(٩٣هـ):

كان طارق بن زياد بزحفه الخاطف إلى طليطلة كمن دق أسفيناً في وسط شبه جزيرة أيبيريا (إسبانيا) وبقي جناحاه مكشوفان,الأمر الذي كان يشكل خطورة كبيرة إذا ما قام العدو بحركة إلتفاف وقطع عليه خطوط إتصاله بالمغرب الإسلامي,لذلك أسرع موسى بن نصير بإعداد جيش كبير بلغت ُعدته١٨ألف جندي معظمها من العرب هو الذي ُعرف في التاريخ بطالعة موسى عبر به البحر إلى الأندلس في رمضان (٩٣هـ/٧١٢م) لإنقاذ هذا الموقف وليس حسداً لطارق على الفتح كما ذكرت بعض المصادر,وأنه أ ارد أن ينال نصيبه هو الآخر من شرف الفتح والجهاد,وعند نزوله إلى البر الأندلسي سار بقسم من هذا الجيش إلى الغرب ولم يتخذ نفس الطريق الذي ساره طارق بن زياد حتى فتح العديد من كبريات الـ ُمدن,إذ فتح قرمونة,اشبيلية,ماردة,لبله,باجه,ثم أتجه بعدها إلى طليطلة حيث التقى بطارق وُيقال أن موسى أهانه أو ضربه بالسوط وغير ذلك من الروايات لتعجله في عمليات الفتح وتعريض جيشه إلى الخطر,ولكن

هذا كله غير صحيح وربما يكون الرجلان قد تعاتبا ولكننا نجدهما عقب ذلك يسيرا معاً لمواصلة الفتوح.
وعندما التقى طارق ابن زياد مع موسى بن نصير خرجا سوياً باتجاه الشمال لإستكمال فتح شبه الجزيرة حيث اتجاها إلى سرقسطة وفتحاها سنة٩٤هـ/٧١٣م وقام التابعي حنش بن عبد الله الصنعاني باختطاط مسجد سرقسطة الذي سيصبح من أكبر مساجد الأندلس,ثم أتجاها إلى لاردة,طركونة مروراً بمدينة وشقه وفتحوها جميعاً,واستمر موسى وطارق في فتوحاتهما في الشمال حتى وصلا جبال البرتات وبذلك لم يبقى إلا الركن الشمالي الغربي من شبه الجزيرة الذي يُعرف باشتوريش من منطقة جيليقية (غاليسيا) التي زهد فيها العرب المسلمين لوعورة مسالكها وقساوة مناخها وقلة مزروعاتها,فتركوها وهي المنطقة التي تجمعت فيها فلول القوط وكونت نواة حركة الاسترداد فيما بعد.
وصلت أوامر الخليفة الأموي الوليد بن عبد الملك برجوعهما إلى دمشق ليقدما بنفسيهما بياناً عن الفتوح ولم يرفض موسى الإستجابة لهذا الطلب ولكنه طلب إمهاله حتى يستكمل الشمال الشرقي لشبه الجزيرة, ثم يتجه بعد ذلك لفتح الشمال الغربي فأمر طارق بمواصلة السير الطريق الروماني,وسار هو في إتجاه الشمال الغربي نحو جليقية,أما طارق فقد تمكن من إخضاع منطقة أرغون ثم أتجه غرباً ليلحق بموسى فاستولى على ألبه والقلاع (إقليم قشتالة القديمة) وأخيراً استولى على بلدة ليون.
أما موسى فقد دخل إقليم استوريش فاستولى على ابيط ووصل إلى ساحل خليج بسكاي عند خيخون ووصل قائده إلى مداخل إقليم جليقية,شعر موسى أنه أتم فتح شبه الجزيرة وأنه يستطيع بعد ذلك أن يُلبي أمر الخليفة الوليد.
وقد خلف موسى ابنه عبد العزيز بن موسى والياً على الأندلس مكانه في سنة٩٥هـ/٧١٤م فأهتم بفتح

الأجـ ازء التي لم تكن قد فُتحت بعد من شرق الأندلس